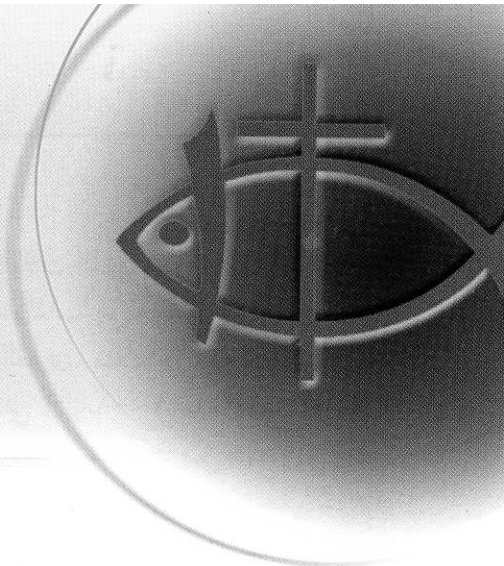

فل ١: ١-٢
إلى جميع القدّيسين نعمة وسلام

الأب د. أيوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدمـــة

يُثير سلامُ بولس في مستهل الرسالة (فـل ١: ١-٢) اهتمامَ قارئيه وسامعيه، كونه يطبّق مقوّمات التحيّة ومكوّناتِها، التي تُستَهَلّ بها عادةً رسالةٌ ما[١]. إنّ الآيتين ١-٢ هما بشكل جَليّ عنوانٌ رسائليّ، وانطلاقًا من هذا المنظار يجب أن تُفهَم دلالاتُ الصُوَرِ المتضمّنةِ فيهما. لا يُدرجُ بولسُ في آ١-٢ برهانًا، بل سلامًا هو بالتأكيد ذو مفعولٍ في نفوس الفيلبيين.

١- فل ١: ١-٢: التحية

تَتبَعُ فل ١: ١-٢ الصيغةَ المعتادة للتحيات في الرسائل اليونانية والرومانية، التي ترمي إلى إرساء روابط الصداقة والمودّة بين المرسَل منه والمرسَل إليه، وإلى تحريك نوع من المشاعر المُحَبَّبَة لدى هذا الأخير. في رسائل بولس، تضفي التحياتُ الاستهلاليّةُ غالبًا تعبيرًا مرهفًا على ما يتبع في الرسالة، وهذا هو الحال في فل ١: ١-٢[٢].

إنّ التحية التي في فل ١: ٢ هي ذاتها في روم؛ ١ كو؛ ٢ كو؛ غل؛ أف؛ وهناك صيغة أبسط في ١ و٢ تس، وتعبّر عن الأمنية بأن تكون الموهبتان السماويّتان، أي "النعمة والسلام"، مع الذين سيتَلَقّون الرسالة. "النعمة" هي عطيّة من الله، يهبها بنوع خاص للشعب الخاطئ؛ يرفع بولس الشكر والصلوات من أجل عمل النعمة في مسيحيّي فيلبّي. أمّا "السلام" فهو العلاقة الإيجابيّة بين الله وبين الخطأة الذين نالوا المغفرة وينعمون ببركاته؛ مصدر هذه الأخيرة هما اثنان: هناك أوّلاً "الله"، الذي هو "أبونا"، وهي تسمية نادرة في العهد القديم، ولكنّ هذا لا يعني أنها غير معروفة، وَتضاعَفَ استعمالها لدى التيار اليهودي (judaïsme)؛ وهناك ثانيًا "الربّ يسوع المسيح" الذي يُذكَر إلى جانب "الآب" كمصدر نِعَمٍ كهذه.

٢- التفسير

تتكوّن الآيتان ١-٢ من مجموعة جُمل موزّعة على الوجه التالي:

- بولس وتيموتاوس
(Παῦλος καὶ Τιμόθεος)
- عبدَي يسوع المسيح
(δοῦλοι Χριστοῦ Ἰησοῦ)
- إلى جميع القديسين
(πᾶσιν τοῖς ἁγίοις ἐν Χριστῷ Ἰησου)
- الذين في فيلبي
(τοῖς οὖσιν ἐν Φιλίπποις)

(١) J.T. REED, *A Discourse Analysis of Philippians, Method and Rhetoric in the Debate over Literary Integrity* (JSNT Sup 136, Sheffield, 1997) 181.

(٢) Ernst BEST, " Bishops and Deacons: Philippians 1:1 ", in F.L Cross, ed., *Studia Evangelica* IV 1, Berlin: Akademie, 1968, 371-376.

- مع الأساقفةِ الشمامسةِ
(σὺν ἐπισκόποις καὶ διακόνοις)
- نعمةٌ لكم وسلام
(χάρις ὑμῖν καὶ εἰρήνη)
- من الله أبينا
(ἀπὸ θεοῦ πατρὸς ἡμῶν)
- والربّ يسوع المسيح
(καὶ κυρίου Ἰησοῦ Χριστοῦ)

يلاحظ القارئ في هاتين الآيتين تراكمَ الأوصاف التي تُسبَغُ على واضع الرسالة كما أيضًا على الذين يتلقّونها، ممّا يضفي على النصّ رونقًا خاصًا وطابعًا احتفاليًا.

هناك عبارتان ذات مدلول في المقطع، هما:

ἐπισκόποις καὶ διακόνοις، وهي فريدة رسائل بولس؛

و δοῦλοι Χριστοῦ Ἰησοῦ، "عبدَي المسيح يسوع"، لا نصادفها إلاّ في روم ١: ١.

وتَلْفُتُ انتباهَ القارىء أيضًا صورةُ "العبد" (δοῦλος) التي تُضاف إليها كلمة "المسيح" (Χριστοῦ)، فتحدّد هكذا هويّة "العبد" المقصود.

سنحاول في ما يلي تحليل الآيتَين، وتبيان معانيهما، واستخلاص مضمونهما.

آ ١أ: "من بولس وتيموتاوس عبدَي المسيح يسوع"

أ – من بولس

يحذف بولس في فل ١: ١ الإشارة إلى سلطته هو، أي إلى "رسوليّته"، التي يُدرجها غالبًا في مُستهلّ تحيّاته (رج روم؛ ١ و٢ كو؛ غل)، لأنّ تأكيدًا على السلطة هنا قد يكون في غير محلّه. في رسالةٍ يحتلّ فيها موضوع الاتّضاع موقعًا رائدًا (أنظر مثلاً ٢: ٥–٨، ١٩–٢٠، ٣٠)، يبدأ بولس بالتشديد على اتّضاعه الشخصي، مؤكّدًا أنه وتيموتاوس "عبدان"، وهذا أدنى ما يمكن من وجهة النظر الدنيويّة، لكن الأعظم من وجهة نظر الجماعة المسيحيّة (رج مر ١٠: ٤٤). قد يعطي هذا الأمرُ فكرةً عن سبب تخصيص "الأساقفة (و)الشمامسة" بذكرهم دون سواهم من حاملي المسؤوليات في هذه الرسالة[٣].

في الواقع، خارج الرسائل الراعوية، نجد القليل من الإشارات إلى الخدمة الكنسيّة، لأنّ بولس يفضّل الكلام على "مواهب الخدمة" (رج روم ١٢: ٣–٨ أو ١كو ١٢: ١–٣١). فعندما يقول عن ذاته وعن تيموتاوس إنهما "خادمان" أو "عبدان"، فهو يرمي على الأرجح من خلال ذلك إلى توبيخ أولئك الذين يظنّون أن "الأدوار ذات الألقاب" هي هامّة في الخدمة. يتعجّب القارئ، مثلاً، من أنّها ليست مُدرَجَة في ٤: ١٠–٢٠ عندما يشكر الجماعة على دعمها. هل هذا لأن بولس يشجب الذين يشدّدون على كرامة خدمتهم؟ بالتأكيد، إنّ استعمال كلمة "عَبدَي" (δουλοι) هو للتقديم لموضوعَي التألّم[٤] والخدمة اللذين سَيَلِيَان في توسيع الرسالة.

ب – "تيموتاوس"

يذكر بولس بانتظام في تحيّاته مرسَلين آخرين إلى جانبه، حتى وإن بدا أنه يكتب بمفرده وباسمه الشخصيّ في باقي الرسالة. رفيقه هنا هو "تيموتاوس" الذي يَرِدُ اسمُه في كلّ رسالة حرّرها بولس عندما كانَا معًا (١ تس؛ ٢ تس؛ ٢ كو؛ غل؛ فلم). في كلّ حال، هو كان معروفًا لدى مُتَلَقّيّ الرسالة من خلال زيارته لتلك الكنسة.

يرى البعض أنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار وجود شريك لبولس في تحرير الرسائل[٥]، كتيموتاوس في الرسالة إلى الفيلبّيين، مثلاً؛ ولكن هنا يُطرح السؤال: هل كان تيموتاوس أكثر من رفيق لبولس أو حتى من معاون له[٦]؟ من الصعب الجزم في

(٣) Randolph RICHARDS, *The Secretary in the Letters of Paul*, WUNT 2nd ser. 42, Tübingen: J.C.B Mohr (Paul Siebeck), 1991.
(٤) Gregory BLOOMQUIST, *The Function of Suffering in Philippians*, JSNTS 78, Sheffield: Sheffield Academic Press, 1993.
(٥) Jerome MURPHY-O'CONNOR, *Paul the Letter-Writer*, Collegeville Liturgical Press, 1995.
(٦) Terence Y. MULLINS, " Greeting as a New Testament Form ", *JBL* 87 (1968) 418-426.

الأمر، ولكن يمكن أن نتصوّر كيف كان يشعر عند ذكر ٢: ١٩-٢٤ أنه موضوع مديح كبير من قِبَل بولس الذي يقول: "لا أحد لي مثله" (٢: ٢٠)، وأنه قدوة في السلوك الذي يحثّ بولس الفيلبيّين عليه (٢: ٤، ٢٠-٢١).

وبالرغم من أنّ بولس لا يشير إلى تيموتاوس إطلاقًا على أنه رسول (رج ٢ كو ١: ١)، فإنّه هنا يضعه إلى جانبه كـ"خادم المسيح يسوع". بهذه الطريقة هو يقول للكنيسة إنّ تيموتاوس يقاسمه السلطان. فهو معاون بولس في عمل البشارة، وشريكه في تحرير عدة رسائل (رج ٢ كو ١: ١؛ كول ١: ١؛ ١ تس ١: ١؛ ٢ تس ١: ١؛ فلم ١، ونراه عاملاً بشكل جليّ في فيلبّي (٢: ١٩-٢٤).

ج - "عبد المسيح"

إن أرفع شرف لأعلى الخدام في الجماعة المؤمنة هو أن يكونوا "عبيد" المسيح يسوع. لذلك، وباستثناء ١ و٢ تس، يصف بولس ذاته بطريقة تعبّر عن وضعه كمُرسَل للمسيح، ويقدّم ذاتَه مرّات عدّة إلى قارئيه على أنّه "رسول يسوع المسيح" (١ كو ١: ١؛ ٢ كو ١: ١، غل ١: ١؛ أف ١: ١؛ كول ١: ١؛ ١ تيم ١: ١؛ ٢ تيم ١: ١)، أمّا هنا، في فل ١: ١، كما أيضًا في روم ١: ١ وتيط ١: ١، فإنه يعطي ذاته وتيموتاوس لقبًا مميّزًا مستوحًى من دون شك من العهد القديم، هو لقب "عبد" (עבד): إنه "عبد المسيح يسوع" (فل ١: ١؛ روم ١: ١؛ تيط ١: ١)، أو "رسول"، أو حتى "أسير" (فلم ١). يدلّ هذا اللّقب، وإن كان يكتب بطريقة شخصيّة جدًّا، أنه مدركٌ جيّدًا لوضعه؛ فهو يحتلّ موقعًا وضيعًا كعبد المسيح أو خادمه، وهذا ما يعطيه سلطانًا كقائد لجماعة المؤمنين، وهو يكتب انطلاقًا من هذه الموقع بالذات.

وإذا ما تعمّقنا في مضمون الرسالة ككلّ، نتبيّن وجود نوعٍ من الدعوة إلى وحدة أكبر لا يمكن أن تتحقّق إلاّ من خلال فعل اتّضاع على مثال الرب يسوع المسيح "الذي اتّخذ صورة عبد" (δουλος، ٢: ٧). لا يطالب بولس إذًا بسلطة رسوليّة هنا، بل يقترح بلطافة، وعَبْرَ قولِ يسوع: "مَن أراد أن يكون الأوّل في ما بينكم، فليكن خادمًا لكم" (مت ٢٠: ٢٧). "العبد" مبدئيًّا هو مَن ليس سيّد نفسه؛ أما يسوع المسيح الذي "اشترى" المسيحيين ("لقد اشتُريتُم بثمن"؛ ١ كو ٦: ٢٠)، كما يقول بولس، فهو بالتالي "يمتلكهم". هكذا يكون بولس وتيموتاوس خاصّةَ المسيح، وهُمَا بالتالي في خدمته.

يَرى العديد من الشراح[٧] في عبارة "عبد المسيح" لَقَب شرفٍ مصدرُه تقليدُ العهدِ القديم حيث لدينا عبارة "عبد يهوه" التي تعني أنّ إنسانًا ما هو بارّ، و"خادمٌ حقيقيٌّ" لله. يُدرج بولس نفسَه هنا إذًا في مصافّ عبيدِ الله العظامِ في العهد القديم.

مرّات عديدة يصف بولس بهذا اللقب المبشّرين بالإنجيل (٢ تيم ٢: ٢٤؛ ٢ كو ٢: ٦؛ ٤: ٥؛ ١ كو ٣: ٥، ٢٢)، ممّا يعني أن المبشّر بالإنجيل هو ذو مكانة مميّزة، ويُضحي بالتالي خادمًا لإخوته على مثال المسيح، دون أن ننسى، بالمقابل، أن المبشّرين يعامَلون وكأنّهم "أقذارُ العالم، ورُذالةُ الجميع" (١ كو ٤: ١٣).

يتوجّه بولس في هذه الرسالة إلى جماعة لم يؤسّسها، لذلك يأخذ اللقبُ "عبد المسيح" بُعدًا شرفيًّا أمام هذه الجماعة، وبهذا يصف رسالتَه بأنها إيجابيّة. ولكنّ التعبير يدلّ أيضًا على الاتّضاع تجاه الجماعة وعلى الطاعة لله.

كونُه "خادمَ المسيح" هو بذات الفعل خادمُ الجماعة. ومن حيث ارتباط اللقب بالعهد القديم والتجذّر فيه، فإنه يُبرز كرامةَ رسالةِ بولس وتيموتاوس الضمنيّةَ؛ فالاثنان كانا يتلقّيان عونًا ماديًّا من الفيلبيين (فل ٤: ١٨؛ ٢ كو ١١: ٩). من خلال هذه العبارة، هم الفيلبيون بالذات الذين يتشرّفون، لأنّ مَن يعتني بالمبشّر ينال أجرًا على ذلك.

(٧) أنظر مثلاً: J. MURPHY-O'CONNOR, *La prédication selon saint Paul*, CaRB 4, Gabalda 1966, p. 42-45.

آ ١ب: "إلى جميع القديسين بالمسيح يسوع الذين في فيلبّي"

يتوجّه كاتب الرسالة إلى قارئيه المؤمنين، وهم هنا كلّ شعب الله في فيلبّي، المنضوين تحت لواء المسيح يسوع، أو "كلّ القدّيسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي". ويتوجّه إليهم أيضًا على أنهم الكنيسة (أو الكنائس) التي هي في مكان مُعيّن (غل؛ ١ تس؛ ٢ تس؛ رج فلم؛ وفي ما يتعلّق بجمع الوصفَين معًا، رج ١كو؛ ٢ كو). لدينا عناصر ثلاث في هذا الوصف:

أ – "القديسين"

أن يكون المؤمن "قدّيسًا" فهذا أمر بديهي! لكن ما هو مضمون هذه الصفة؟ في الأساس، تعني كلمة קדוש، ومرادفتها اليونانية αγιος، أن يكون المؤمن "مفصولاً"، "موضوعًا على حِدَة"، مع الإشارة إلى أنّ المفردة αγιος تعني في الهلينيّة حصرًا أن يكون المرء "مندفعًا تجاه الآلهة".

تدلّ كلمة "قديسين"، بصيغة الجمع، في العهد الجديد، على الذين يؤمنون بيسوع، وهي واحدة من المفردات البيبليّة العبريّة التي تدلّ أيضًا على شعب الله إسرائيل (رج لا ١٩: ٢؛ تث ٧: ٦؛ ١٤: ٢؛ مز ١٤٧: ٢٠).

يضفي بولس هنا على قارئيه لقب "القديسين" (كما أيضًا في روم؛ أف؛ رج كول). كانت هذه العبارة تُقال أساسًا للملائكة ولشعب إسرائيل، أما هنا فتُخلع على المسيحيّين، مع التأكيد على أنّ الذين يؤمنون بالله بواسطة يسوع، يهودًا كانوا أم يونانيّين، هم الآن شعب الله؛ هي تعني، ليس فقط أنهم يخصّون الله، بل أيضًا أنهم أو ينبغي أن يكونوا مميَّزين بنوع الحياة المفترضة بهذا الشعب. ولا بدّ من التأكيد أنّ الذين ليسوا "قديسين" على الأرض لن يكونوا مطلقًا "قديسين" في السماء.

ب – "في المسيح يسوع"

يقول بولس إنّ قارئيه هم "في المسيح يسوع". هذه العبارة، بالإضافة إلى مثيلاها، نصادفها ١٦٥ مرة في رسائل بولس، وهي ذات أهميّة كبرى في لاهوت الرسول، إذ إنّها تدلّ على كيفيّة تحديد وجود المؤمنين، وهويّتهم، وعلاقتهم بعضهم ببعض بالمسيح يسوع الذي صُلب وقام. وتُستعمل، كما في فل ١: ١ب، لتُبيّن أنّ اتحادًا وثيقًا هو قائمٌ بين المؤمنين والمسيح. نصادف عبارة "في المسيح" وما يعادلها ٢١ مرة في فل:

- فهي تعبّر عن كيفيّة عمل الله لبعض الأمور، أو أنه يعطي العطايا إلى شعبه (٢: ١؛ ٣: ١٤؛ ٤: ٧، ١٣، ١٩)؛ بيسوع يَهَبُ اللهُ بركاتِه إلى شعبه.
- تُستعمل كبُنية عاديّة مع بعض الأفعال (١: ٢٦؛ ٢: ٥، ١٩، ٢٤؛ ٣: ١، ٣؛ ٤: ١، ٤، ١٠). إنّها في الغالب أفعال تدلّ على موضوع الرجاء أو على أساس الثقة والفرح. يسوع هو مَن يتعلّق المؤمنون به ويفرحون.
- هي تميّزُ المؤمنين كشعب له علاقة وطيدة بيسوع، وكنتيجة لها هم يشاطرونه آلامه وقوّة قيامته (١: ١، ١٣، ١٤؛ ٣: ٩؛ ٤: ٢١).
- هي تصف بعض نماذج السلوك المطلوب من المسيحيين (٢: ٢٩؛ ٤: ٢)، كونهم مدعوّين إلى أن يتصرّفوا بطُرُق خاصة، تتوافق مع حياةٍ فيها المسيحُ هو السيد.

بهذه العبارة، "في المسيح يسوع"، يصف بولس إذًا كيفية قيام الجماعة وتقديسها. ويلاحظ القارئ أن هذه العبارة ترتبط بما سيلي في الرسالة، إذ يتكلّم الرسول على اقتناع "الغالبيّة"، أي ليس كل أهل فيلبّي. كذلك، نتبيّن من ١: ١٥–١٨أ أنه ليس الكلّ يُبشّرون بدوافع "مقدّسة"، ومن ٣: ١–٤: ١ أن ليس كلّ أهل فيلبّي كانوا "قديسين".

ج – "في فيليبي"

تصف الجملة الثالثة قرّاء الرسالة في استيطانهم الأرضي، أي "في فيلبي". يتوجّه الرسول إلى "كلّ" هؤلاء، غير مستثنٍ أيًّا منهم. إذا كان بولس وتيموتاوس "مِلْكَ" المسيح، فهذا لا يعني أنهما وحدهما كذلك، بل أنهما يتقاسمَان هذه الحالة مع "القدّيسين" و"مع الأساقفة (و)الشمامسة" الذين في فيلبّي. فلنتبيّن هوية هؤلاء.

آ ١ ج: "مع الأساقفة الشمامسة"

لماذا وَرَدَ ذكر "الأساقفة (و)الشمامسة" هنا؟ إحدى الفرضيّات هي أنها الكنيسة الأولى التي أسّسها بولس وكان لها قادة كهؤلاء، وهذا ما قد يُفسّر سبب عدم وجودِ مناسبة للكتابة بتعابير مماثلة في رسائل سابقة. من المحتمل أنّهم كانوا قد كتبوا إلى بولس مستعملين هذه الألقاب للإشارة إلى ذاتهم. بطريقة قد تكون ساخرة، يُجيب بولسُ معتبرًا تيموتاوس ونفسَه بمثابة "خادمَين" أو "عبدَين" للمسيح. مع هذا، لا دليل على أنّ بولس كان له شيء ضد هاتَين التسميتَين. ومن المحتمل أيضًا أنّ قادةَ كنيسةٍ ما كانوا بنوعٍ خاص عرضةً للاضطهاد، وبالتالي، كان طبيعيًّا، في رسالة تهدف إلى تقوية الكنيسة لتواجه المعارضة، أن يُشير إليهم بطريقة تميّزهم عن الباقين. أو أنّهم أيضًا قد ذُكِروا لأنّهم يقومون بإرسال المعونات إلى بولس، لكن ليس لدينا إثبات لهذا الأمر.

إنها المرة الأولى في رسائل بولس التي فيها يُذكَر فريقٌ مُحدَّد مِمَّن يَتَوَجَّهُ إليهم. هؤلاء عنيتُ بهم "الأساقفة (و)الشمامسة"[٨]، الذين يجملهم الرسول، معتبرًا إيّاهم من ضمن فريق "جميع القديسين".

أ - "مع"

يعني حرف الجرّ "مع" (συν) أن بولس يحيّي، بالإضافة إلى "القديسين"، الذين يشكّلون فئة المؤمنين عامة في فيلبّي، "الأساقفة (و)الشمامسة" أيضًا، وهم بالتأكيد فئة خاصة في الجماعة، كما سنرى أدناه.

ب - الأساقفة

هي المرّة الاولى التي فيها يذكر بولس هؤلاء في رسائله، وهي الرسالة الوحيدة التي يشير فيها إلى مسؤولين محلّيين من هذا النوع[٩]، ولن يستعمل هذه التسمية بعد ذلك في أيٍّ من رسائله حتى نصل إلى ١ تيم ٣: ٢ وإلى تيط ١: ٧، حيث يبدو أنها تدل على وجوه قيادية في الكنيسة المحليّة. ويبقى أن وظيفة هؤلاء غير واضحة المعالم في الرسالة، ولا يمكن الجزم بنوعيّة الخدمة التي كانوا يقومون بها ضمن الجماعة، ومع هذا ليس مستبعدًا أن يكونوا نواة الخدمَتين، الأسقفيّة والشماسيّة، اللّتين صار لهما طابع رسمي ومحدّد في ما بعد.

إنّ كلمة "أساقفة" (επισκοποι) هي كلمة مدنيّة أساسًا، وتدلّ على مبعوث في مستعمرة جديدة، وتأتي من كلمة επισκοπη التي تعني "زيارة"، "تَفَقُّد"، "مراقبة"، وفي الأدب اليوناني تشير إلى "المُشرف" أو "المراقب". لهؤلاء "الأساقفة" مَهمّة ثابتة في الجماعة، وبهذه الصفة جمعوا المساعدة لبولس ولتيموتاوس، لكن لا يعني أنّ مَهمّة الأساقفة والشمامسة هي محصورة بجمع المساعدة.

ما معنى كلمة ἐπισκόπος؟[١٠] في يونانية القرن الأول تعني الكلمة وظيفة رسميّة، مرتبطة بالإدارة، وما نجده في السبعينيّة له معنى قريب من المعنى المدنيّ، كما يتبيّن لنا من الاستشهادات التالية:

- في ١ ملك ١: ٥١ أقام أنطوخيوس "مراقبين" (ἐπισκόποι) على كل مدن اليهوديّة وعلى الشعب: "وكتَبَ بِمِثْلِ هذا الكَلامِ كُلِّه إلى مَملَكَتِه بِأَسرِها وأَقامَ مُراقِبِينَ عَلى كُلِّ الشَّعْب، وأَمَرَ مُدُنَ يَهوذا بِأَن يَذبَحوا في كُلِّ مَدينة".
- في ٢ أخ ٣٤: ١٧، المال المقدَّم للهيكل كان يوضع في أيدي المُوَكَّلين (ἐπισκόποι) الذين كانوا يدفعون الأجر للعمال: "وقد دَفَعوا الفِضَّةَ الَّتي وُجِدَت في بَيتِ الرَّبّ وسَلَّموها إلى أَيدي المُوَكَّلين والمتولِّين العَمَل".

(٨) E. BEST, " Bishops and Deacons: Philippians 1, 1 ", *SE* 4, Ed. F.L. Cross, Berlin, 1968, pp. 371-376.
(٩) Lorenzo DE LORENZI, *Paul de Tarse apôtre de notre temps*, Rome 1979, p. 376.
(١٠) H.W. BEYER, " Επισκοπος" ", *TWNT* II, 612.

في نح ١١: ٩، ١٤، ٢٢، هم الرقباء أو النُظّار مَن كانوا يسهرون على رجال بنيامين أو على اللاويين والكهنة: "وكانَ يوئيلُ بنُ زِكْري رَئيسًا علَيهم..." (آ ١١)؛ "وإخوَتُهم أَبطالٌ ذَوو بأس: مِئَةٌ وثَمانِيَةٌ وعِشْرون، والرَّئيسُ علَيهم زبْديئيلُ بنُ جَدوليم" (آ ١٤)؛ "وكانَ رَئيسُ اللاَّوِيِّينَ في أُورَشَليمَ عُزِّيَ بنَ باني ..." (آ ٢٢).

أمّا في العهد الجديد، فعندما ألقى بولس خطبةَ الوداع على شيوخ أفسس (أع ٢٠: ٢٨)، استعمل الفعل επισκοπειν ليدلّ على رسالة الشيوخ، التي تقضي بأن "يسهروا" على حياة الجماعة المسيحيّة. ملفت للنظر أنّ كل الشيوخ يتلقّون مَهمّةَ الـἐπισκόπειν.

قد نستطيع أن نتبيّن مضمون كلمة "أساقفة" انطلاقًا من بعض ما نجده لدى بولس من تحديد لهوية المسؤول في الجماعة الكنسيّة ودوره. لنستعرض بعض الأمثلة على ذلك: "الأسقف" هو الذي "يرأس" (ο προισταμενος) "بغَيرة" (εν σπουδη؛ روم ١٢: ٨)؛ هو من يعطي "الاتجاه" (κυβερνησεις؛ ١ كو ١٢: ٢٨؛ رج أع ٢٧: ١١؛ رؤ ١٨: ١٧)؛ هو من "الرعاة" (ποιμενες؛ أف ٤: ١١). وانطلاقًا من كون هذه المفردات من حيث معناها ومن حيث موازاتها هي على علاقة قوية مع كلمة "تَفَقَّد" أو "راقب" أو "ناظَر" (επισκοπη)، فإنه بإمكاننا أن نتبيّن المَهمَّة ذاتها في كلمة "أساقفة" (επισκοποι) في فل ١: ١.

نصادف الكلمة مرات عدة في العهد الجديد (أع ٢٠: ٢٨؛ ١ تيم ٣: ١-٧؛ تيط ١: ٥-٩؛ ١ بط ٢: ٢٥؛ ٥: ٢-٣)، وتوحي بنوع من الموقع القياديّ. في القرن الثاني أعطى كتاب **الديداكيه** (١٥) وصفًا للأساقفة المحليّين وللشيوخ الذين كان لهم التقدم عليهم أيام القديس الشهيد إغناطيوس الأنطاكي[١١].

واستنادًا إلى فل ١: ٢، يمكن "الأساقفة" أن يكونوا "شمامسة" إذا ما اعتبرنا حرفَ العطف اليوناني και ليس أداة عطف بل أداة توضيحية (epexégétique)، فتصبح كلمة "خدّام"، لغويًا، بدلاً من كلمة "أساقفة"؛ لدينا في أف ٤: ١١ مثلٌ مشابهٌ لـ فل ١: ١، حيث يجري الكلام على "الرعاة المعلّمين" (οὺς δὲ ποιμένας καὶ διδασκάλους).

ج - "الشمامسة"

تأتي كلمة "**شماس**" (διακονος) من فعل διακονειν الذي يعني "خَدَمَ إلى المائدة"، الذي له أيضًا المعنى الأوسع لـ"خدمة محبة"[١٢].

نصادف في بعض رسائل بولس اللقبَ "شمّاس" (διακονος في: ١ تس ٣: ٢؛ كول ١: ٧؛ ٤: ٧؛ أف ٦: ٢١)، وكلمةَ "خدمة" (διακονια في: ١ كو ١٦: ١٥؛ كول ٤: ١٧)، فهل نحن أمام خدمة في خطّ خدمة بولس، أي أنه διακονος (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ٣: ٦؛ ٦: ٤؛ ١١: ٢٣؛ أف ٣: ٧؛ كو ١: ٢٣؛ ٢٥؛ ١ تيم ٤: ٦؛ رج διακονια في روم ١١: ١٣؛ ٢ كو ٣: ٨ي؛ ٤: ١؛ ٥: ١٨؛ ٦: ٣؛ ١١: ٨)، وليس خدمةَ "الموائد"، كالتي تظهر عندما تُربَط بخدمة الأساقفة في فل ١: ١، كما في ١تيم ٣: ٨، ١٢، واستنادًا إلى إطار روم ١٦: ١؟ أمّا اعتبار جمع التبرعات أنه "خدمة للقديسين" ((διακονια...τοις αγιοις، روم ١٥: ٣١؛ ٢كو ٨: ٤؛ ٩: ١، ١٢، ١٣)، فإنه يدخل في أسلوب إضفاء الكرامة على هذه المقاطع.

في العهد الجديد، تُستَعمل كلمة "شمامسة" عادة لخدّام المسيح، كما أيضًا لخدمة معيّنة (رج ١ تيم ٣: ٨، ١٢)[١٣]. كانت الواجبات الشماسية تشمل الخدمة والتدبير (الإدارة)، وكانت مرتبطة بالأسقف. وكان الرجال يخدمون كشمامسة، والنساء

(١١) أنظر إغناطيوس، **مغنيسيا** ٦: ١؛ ١ **إكليمنضس** ٤٢.

(١٢) H. W. BEYER, *Theological Dictionnary of the New Testament*, 2 :81.

(١٣) Lorenzo DE LORENZI, *op. cit.*, p. 380 et n. 28.

كشمّاسات (ر ج روم ١٦: ١؛ ١ تيم ٣: ١١). تدلّ كلمة "شمّاس" (διακονος)[١٤] في رسائل بولس، وفي الكثير من الأحيان، على أشخاص يعملون في حقل البشارة بالإنجيل، ابتداءً ببولس بالذات (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ١١: ٢٣؛ أف ٣: ٧)، وأبّولوس (١ كو ٣: ٥)، والمناوئين (٢ كو ١١: ١٥ و٢٣)، وطيخيقوس (أف ٦: ٢١؛ كول ٤: ٧)، وأبفراس (كول ١: ٧).

في فل ١: ١ فقط يُذكَر قادة الكنيسة بشكل صريح؛ فكلمة "شمّاس" يمكن استعمالها في معنى عامّ جدًّا لأيٍّ من العاملين المسيحيّين، بمن فيهم بولس ذاته (١ كو ٣: ٥؛ ٢ كو ٣: ٦؛ ٦: ٤؛ ١١: ٢٣؛ ر ج ١١: ١٥)، وهي مستعملة بمعنى خاص في روم ١٦: ١ للكلام على فِيبَا. يبدو أنّ كلمة "شمّاس" قد تشير إلى أي نوعٍ من خدّام الله في الكنيسة، وقد استُعملت تحديدًا لفريق معيّن من العاملين. ويُحَدَّد عملُ هؤلاء الشمامسة انطلاقًا من وضعهم مقابل فريق آخر هم "الأساقفة".

نحن هنا، إذًا، أمام "وظيفة" أو "خدمة" كنسيّة (ر ج ١ تيم ٣: ١). توحي كلمة "أسقف" بفكرة الإشراف والعناية الراعوية، وتدلّ كلمة "شماس" على الخدمة؛ إنّه لَذِي مدلولٍ أنّ الكلمتين يمكن في الواقع استعمالهما لذات الأشخاص؛ مثلاً، بولس وتيموتاوس هما يعملان كأسقفَين، ولكن يمكن أن يُقال لهما "شماسان" أيضًا؛ هكذا تميّز الكلمتان قيادةً مسيحيّة معيّنة. مع هذا، كانت هناك قسمةٌ في الوظيفة في الكنيسة، ويبدو أنّ الذين يُدعَون خاصة "شمامسة" عليهم واجبات مسؤوليّة أقل من واجبات الأساقفة.

نعمة لكم وسلام (آ ٢)

وفق أسلوب المراسلة اليونانيّة، تلي التحيّةُ العنوانَ في افتتاحية الرسالة.

أما لفظة "نعمة" (χαρις) فتشتقّ من فعل χαιρειν، أي "سلّم". ولكن التحيّة هنا هي موسّعة، الأمر الذي يجعلنا نوجّه فكرنا نحو الشرق أكثر منه نحو اليونان. فعبارة "نعمة وسلام" (χαρις και ειρηνη) هي ساميّة، مستلّة من المباركة اليهوديّة: الرحمة والسلام (ر ج طو ١٢: ٧؛ ١ تم ١: ٢؛ ٢ تم ١: ٢؛ ٢ يو ٣؛ يهو ٢؛ غل ٦: ١٦.

يدلّ "السلام" (ειρηνη) على العلاقات الأحسن بين الله والإنسان، وهذا ما يثبته الالتزام المتبادل بين الاثنين، والذي تجلّى بأسمى ما يكون بالمسيح يسوع الذي "هو سلامنا" (أف ٢: ١٤). إنّ ما يضمن استمراريّة هذا السلام هو يسوع بالذات، لذا، "السلام" هو أيضًا "نعمة"، علمًا أن موضوع "النعمة" يحتلّ موقعًا هامًّا في فكر القديس بولس.

إذن، هذه التحيّة التي هي في جوهرها "مسيحيّة"، قد ترقى إلى إطار ليتورجيّ في الكنيسة الأولى، متجذّرٍ في التقليد اليهوديّ؛ لكن ما يلفت الانتباه هو التركيز على ربط النعمة والسلام بـ"الله الآب"، وبـ"الرب يسوع المسيح". باستعادة بولس المباركة اليهوديّة، يبدو وكأنه يستنزل على قرّائه بركات الله الآب والربّ يسوع المسيح. إننا في إطار عملٍ خلاصيّ صمّمه اللهُ الآبُ، وحقّقه بابنه يسوع، ويتواصل في الكنيسة، حتّى منتهى الدهور.

خاتمة

نستنتج ممّا تقدّم أن ما يبغي بولس أن يشدّد عليه ويَبلغَه هو شراكة حقيقيّة في جماعة فيلبي، مبنيّة على شخص يسوع المسيح بالذات، من جهة، وعلى الشراكة بين هذه الجماعة وبينه، من جهة أخرى.

(١٤) H.W. BEYER, " Διάκονος ", *TWNT* II, 90.

المراجع

بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي**، سلسلة محطات كتابية ٤، ١٩٩٦.

الفغالي بولس، "بنية الرسالة إلى فيلبي"، مجموعة محاضرين، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبلية ٢٤، ٢٠٠١، ص ٣٩٦-٤١٦.

مسترز كارلوس ، **بولس العامل المبشّر بالإنجيل**، سلسلة بيبليات، ٦، لبنان ١٩٩٥.

BEST E., " Bishops and Deacons : Philippians 1,1 ", *SE* 4, Ed. F.L. Cross, Berlin, 1968, pp. 371-376.

BEYER H.W., "Διακονος", *TWNT* II, 90.

BEYER H.W., "Επισκοπος", *TWNT* II, 612.

BLOOMQUIST Gregory, *The Function of Suffering in Philippians*, JSNTS 78, Sheffield: Sheffield Academic Press, 1993.

DE LORENZI Lorenzo, *Paul de Tarse apôtre de notre temps*, Rome 1979.

LEMAIRE A., *Les ministères aux origines de l'Eglise*, Cerf, 1971.

MULLINS Terence Y., " Greeting as a New Testament Form ", *JBL* 87 (1968) 418-426.

MURPHY-O'CONNOR J., *La prédication selon saint Paul*, CaRB 4, Gabalda 1966.

REED J.T., *A Discourse Analysis of Philippians, Method and Rhetoric in the Debate over Literary Integrity* (JSNT Sup 136, Sheffield, 1997).

RICHARDS Randolph, *The Secretary in the Letters of Paul*, WUNT 2nd ser.42, Tübingen: J.C.B Mohr (Paul Siebeck), 1991.